خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١ شعبان ١٤٣٥ في الكويت

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله بعث رُسُلَه ليدعوا إلى التوحيد وإلى مكارم الأخلاق، وإنّ محمد بن عبد الله ﷺ بُعِث لِيُتَمِّمَ مكارم الأخلاق، فديننا دين الأخلاق الكريمة، ديننا دين الأخلاق الحسنة، أعلى من شأن الأخلاق.

ولذا قال ربنا ﷻ في حقّ نبيّنا ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤]، لنتأسّى به، ونقتدي به في هذه الأخلاق العظيمة.

وبيّن النبي ﷺ عِظَمَ شأن الأخلاق، فبيّن أنّ أكثر ما يُدخِل الناس الجنة: تقوى الله وحسن الخلق، وبيّن أنه ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن، وأوصى ﷺ بمخالقة الناس بالخلق الحسن، فأوصى مُعاذًا رضي الله عنه بقوله: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تَمحُها، وخالق الناس بخلق حسن».

وإنّ الأمة -يا عباد الله- لا تزال بخير ما قامت فيها الأخلاق، فإن قلّت الأخلاق أو عُدِمت الأخلاق، فإنّ هذا نذير سوء، ولذا -يا عباد الله- ينبغي على أفراد الأمة أن يحرصوا على العمل بالأخلاق

الحسنة، وأن يتواصوا فيما بينهم بتلك الأخلاق، لا سيّما ما قلّ العمل به من الأخلاق أو كاد أن يذهب.

وإنّ من الأخلاق الكريمة التي جاء بها الإسلام وأصبح العمل بها يقلّ في زماننا هذا: الإكرام.

فإكرام المسلم للمسم خُلُقٌ عظيم، جاء به ديننا، ويَعظُم الإكرام في حقّ فِئات حثّ النبي ﷺ على إكرامها.

ومن ذلك ما جاء في قول النبي ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**».

ذو الشيبة المسلم: كبير السن من المسلمين، عَلَّمَتْهُ التجارب، وحَنَّكَتْهُ الدنيا، وهو أكبر منك سنًّا، وأقدم إسلامًا، عبَدَ اللهَ من الوقت أكثرَ ممّا عبدت، فهو حقيق بأن تُكرِمه يا عبد الله، ذو الشيبة المسلم يُكرَم بكلّ ما جرت العادة أن يُكرَم به، ما لم يخالف ذلك شرع الله.

ومن ذلك: أنه يُقَدَّم في الكلام، إلا إذا وُجِد سبب يقتضي خلاف ذلك، ولذا قال النبي ﷺ: «كَبِّر كَبِّر»، ومن هنا أخذ العلماء أنّ كبير السن يُقدَّم فيما ينبغي أن يُقدَّم فيه، كدخول المكان، أو الكلام، أو غير ذلك.

ومن إكرامه يا عباد الله: أن يُعرَف له حقّه وأن يُجَلّ، ولذا قال النبي ﷺ: «مَن لم يرحم صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا فليس منّا»، وفي رواية قال ﷺ: «مَن لم يرحم صغيرنا ويُجِلّ كبيرنا فليس منّا».

ومِن إكرامه يا عباد الله: أن يُوَسَّع له في المجلس، وأن يُقَدَّم في المجلس، وألّا يُترَكَ واقفًا، جاء شيخٌ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم، لم يُوَسِّعوا له في المجلس، فقال ﷺ: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقّر كبيرنا».

ومن إكرامه يا عباد الله: أن يُبدَأ بالسلام، يُسلِّم الصغير على الكبير.

ومن إكرامه يا عباد الله: أن يُؤتَى إليه في بيته، وأن يُزار في بيته، عندما فتح النبي ﷺ مكة جاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأبيه، وقد كان شيخًا كبيرًا، يقوده -وفي رواية: يَحمِله- إلى رسول الله ﷺ، فلمّا نظر إليه النبي ﷺ قال: «هلّا تركتَ الشيخَ في بيته وأنا آتيه».

الله أكبر! إنّه خلق عظيم يا عباد الله، وقد كان كبار السّنّ قبلنا يُرَبُّون الصغار على هذا الخلق العظيم، فكان الطفل يرى كبار السن كأبيه، من جيرانه وأقاربه، يُربّي الكبار الصغار، من الجيران وغيرهم، وكان الصغير يسمع كلام الكبير، إلا أنه من أسف شديد في زماننا هذا قلّت التربية على هذا الخلق، بل جُرّئ الصغار على الكبار، فأصبح الصغير لا يوقّر الكبير، يرى الكبيرَ ولا يحترمه.

بل بَلَغَنا -والعياذ بالله- أنّ الصغار قد يعتدون على الكبار، بل بلغ الشّأن -والعياذ بالله- أنّ الولد يعتدي على أبيه الكبير.

إذا بلغ منّا هذا الحال فأيّ سوء نحن فيه يا عباد الله؟! فعلينا أن نتنبّه لهذا الأمر، وأن نربّي أبناءنا على هذا الخلق الكريم.

وإنّ من خلق الإكرام: إكرام حامل القرآن، الذي حفظ كلام الله ﷻ وعمل به، فكان على سنّة، غير غالٍ مبتدع، وغير جافٍ مقصّر، كيف لا يُكرَم وهو يحمل كلام الله ويَقُوم بحقّه؟

ومن هنا أخذ العلماء أنّه ينبغي على المسلمين أن يُكرِموا العلماء، وأن يقوموا بحقّهم، وأن يعرفوا لهم فضلهم، وأن يستغفروا لهم، وأن يصونوا أعراضهم.

وينبغي على حامل القرآن -يا عباد الله- أن يُكرِم نفسه بلزوم سنّة رسول الله ﷺ، والحذر من البدع وأهلها، والبعد عن الفسق والفُسّاق، بأن يحرص على أن يكون طائعًا لله، مُتَّبِعًا لرسول الله ﷺ، فإنّه إذا ترك هذا يكون قد عرّض نفسه للإهانة، ولذا ورد عن بعض السلف أنه قال: رُبّ قارئٍ للقرآن والقرآن يلعنه!

وذلك -يا عباد الله- إذا لم يُقِم حدود القرآن، و لم يلزم سنة خير ولد عدنان ﷺ.

وإنّ من هذا الخلق العظيم يا عباد الله: إكرام ذي السلطان المُقسِط.

السلطان -ولي أمر المسلمين- له منزلة عليّة في ديننا، لأنّه يقوم بمصالح المسلمين العامّة، وهو مُؤتَمَن عليها، ولذا شُرِع لنا أن نُكرِمه، يقول النبي ﷺ: «مَن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومَن أهان سلطان الله في الدنيا أهانه الله يوم القيامة».

ويقول النبي ﷺ: «خمسٌ من فعل واحدةً منهنّ كان ضامنًا على الله ﷻ: من عادى مريضًا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على سلطان يريد توقيره وتعزيره، أو قعد في بيته فسَلِم منه الناس وسَلِم من الناس».

«خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنًا على الله ﷻ»: أي كان أجره مضمونًا.

وفيها: أن يدخل على ولي الأمر يريد تعزيره وتوقيره، امتثالاً لأمر الله ﷻ.

ومِن إكرام السلطان يا عباد الله: أن تُكَفَّ الألسنة عنه، وألّا تُنشرَ عُيُوبُه، وألّا يُسَبّ ولا يُشتَم.

جاء أحد الولاة فصعد المنبر، وكان يَلبَس ثيابًا رِقاقًا، فقال أبو بلال مرداس الخارجي: انظروا إلى أميركم هذا، يلبَس لِبسة الفُسّاق! وكان أبو بكرة الصحابي الجليل قاعدًا في أصل المنبر، فناداه وقال: لا تُهِنه، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطان الله أهانه الله».

ومِن إكرامه: أن تُبذَل له النصيحة بالطُّرُق الشّرعيّة، فهذا من الإكرام والأخلاق العظيمة، يقول النبي ﷺ: «ثلاث لا يَغُلّ عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم الجماعة، فإنّ دعوتهم تُحيط مِن ورائهم».

إذا رأى الإنسان على ولي الأمر ما يحتاج معه إلى النصيحة فينبغي ألّا يُعلِنَها، وألا يَنشُرَها، وإنّما ينصح وليّ الأمر في سرٍّ بينه وبينه، حتى لا يُهَيِّج العامّة على ولي أمرها، يقول النبي ﷺ: «مَن كان له نُصحٌ لذي سلطان فلا يُبدِه علانية، ولكن ليأخذ بيده، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه».

من إكرام ولي الأمر يا عباد الله: أن يُسمَع له ويُطاع في غير معصية الله ﷻ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ﷻ، «على المرء المسلم السّمع والطاعة فيما أحبّ وكره، ما لم يُؤمَر بمعصية، فإن أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

الله أكبر يا عباد الله! ديننا الكريم ما ترك خيرًا إلا دلّنا عليه، ومنه هذا الخلق الكريم، فينبغي علينا -يا عباد الله- أن نمتثله في أنفسنا، وأن نعمل به في أنفسنا، مع أبنائنا، ووالدينا، وجيراننا، وإخواننا القادمين علينا من غير بلادنا، يُكرِم بعضُنا بعضًا، ونحرص -يا عباد الله- على إكرام مَن أَمَرَ رسولُ

الله ﷺ بإكرامه، تَقَرُّبًا إلى الله، وامتثالاً لشرع الله، لا نتقرّب إلى أحد من الناس، لا نتذلّل لأحد من الناس، لا نُريدُ جاهًا ولا مَنصِبًا ولا مالاً، ولكن نريد أن يَرضَى عنّا رب العالمين، لأنّنا قد امتثلنا شرعه، وامتثلنا أمره، حتى نكون من الفائزين عند لقائه ﷻ، فإنّه ما منكم من أحد -يا عباد الله- إلا سَيُكَلِّمُهُ ربُّه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشقّ تمرة.

وإنّ اتّقاء النار -يا عباد الله- يكون بأن تُطَهِّر هواك لتُطيع مولاك ﷻ.

فاتقوا الله عباد الله، واسمعوا وأطيعوا، لعلّكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إنّ ربّنا ﷻ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وسُئِل الرسول ﷺ: مَن أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله».

ومَن أكرمه الله -يا عباد الله- يجب على المؤمنين أن يُكرِموه، فيجب علينا -يا عباد الله- أن نُكرِم الطائعين لله، الذين يظهر فيهم الخير والاتّباع لرسول الله ﷺ، نُكرِمهم، ونُقَدِّمُهم، ونصون أعراضهم.

وإنّ سَبَّ أولئك -يا عباد الله- من أعظم المصائب، أن يُسَبّ الصالحون من عباد الله.

ولذا قال العلماء: إذا سُبَّ الصالح:

- إن سُبّ لذاته فهذا فسق، لقول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق»،
- وإن سُبّ من أجل دينه فذلك -والعياذ بالله- كُفر، لأنّه سَبٌّ لدين الله ﷻ.

فاتّقوا الله عباد الله، وأَكرِمُوا مَن أكرمه الله ﷻ.

يا ابن آدم! يا ابن آدم! اعمل ما شئت فإنّك مُلاقيه، وأحبِب من شئت فإنّك مفارقه، وكُن كما شئت فكما تَدين تُدان، وبقاؤك في الدنيا قليل، وعمّا قريب سَيُنادَى بالرّحيل، وتقف بين يدي

الرحمن ﷻ، فاتّق الله في نفسك، ولا تغرّنّك الحياة الدنيا، ولا يغرّنّك بالله الغَرور، الزم دين الله، واستقم على دين الله، فإنّ لك في ذلك سعادة الدنيا والفوز بالجنة يوم القيامة.

فاتقوا الله عباد الله، واشكروا الله على نعمة الإسلام بِحُسن الاستقامة على الدين، والحذر من البدع والمخالفات الشرعية.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى بملائكته فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا».

فاللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، وسلّم تسليما كثيرًا، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهم اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، اللهم اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ قرّبنا من كل ما تحبّ، اللهمّ قرّبنا من كل ما تحب، اللهمّ قرّبنا من كل ما تحب يا رب العالمين.

اللهمّ ما علمته فينا من خير اللهمّ فثبّتنا عليه يا رب العالمين، وزدنا من الخير يا ربنا يا رب العالمين، وما علمتنا عليه من سوء اللهمّ فاصرفنا عنه واصرفه عنّا يا رب العالمين، اللهمّ ما علمتنا عليه من سوء اللهمّ فاصرفنا عنه واصرفه عنّا يا رب العالمين، اللهمّ ما علمتنا عليه من سوء اللهمّ فاصرفه عنّا واصرفنا عنه يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا عباد من عبادك مُذنبون، أشفقنا من الذنوب، اجتمعنا في بيت من بيوتك نؤدّي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا يا رب العالمين.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في أعمارنا، اللهمّ بارك لنا في أعمالنا، اللهمّ بارك لنا في أرزقانا، اللهمّ بارك لنا في أهلينا، اللهمّ بارك لنا في جيراننا، اللهمّ بارك لنا في بلادنا، اللهمّ بارك لنا في ولاة أمرنا يا رب العالمين.

اللهمّ وفّق أمير البلاد إلى كل خير يا رب العالمين، اللهمّ قرّبه من الخير والأخيار، وأبعِد عنه الأشرار يا رب العالمين، اللهمّ املأ قلبه رحمةً للرعية، واملأ قلوب الرعية محبّةً له يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّنا، نسألك كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك، في هذه الساعة المباركة، أن تجمعنا ووالدينا ومن نحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].